فريدة النقاش

الوعد .. والوفاء

نحن الآن مدينون لابنائنا واخوتنا على جبهة القتال . ولشجاعة القيادة التي بدأت القتال ، واذا كان الجيش والشعب قد اجتازا معا فجوة الثقة التي ولدها سكون الجبهة ، فجوة الثقة بالنفس وتلك استردها بفخار ، وفجوة الثقة بالحليف والصديق وتلك عبرهـا المسار التحرري الاصيل لثورة يوليو ، وفجوة الثقة في السلاح وتلك عبرتها ممارسة الجندي المصري الذي سوف يترك كما ترك الفيتنامي من قبل بصمات لا تمحى على وجه العصر الذي نعيشه ، وفجوة الثقة في الجماهير التي بدت من قبل خاملة لا مبالية وخالية من اية هموم عامة ..

ومع الطلقة الاولى وارتفاع العلم على سيناء وسقوط اول شهيد على رمالها انبثقت طاقات لا حدود لغناها وانتظمت في صفوف الحرب على الجبهتين .

ويخطىء من يتصور ان الجندي والقائد المصري قد اجتاز كل هذه الفجوات وحيدا او بمحض الصدفة ومن باب الحيلة ، فارادة الانسان وحكمته وصلابته لا تنمو ذاتيا فحسب رغم الطاقات الهائلة فيه وانما تولد من قلب الصراع اليومي مع الواقع واكتشافنا المتصل له وللحلقات التي تنسجه وتصله ، فالارادة الصلبة والعمل العظيم لا يأتيان من الغيب او من وحي الخرافة والاساطير ، ولا ينبعث فجاة من القوة الخارقة لفرد عظيم ، فالفرد وعظمته هو في النهاية من صنع الامة وعظمتها كما اكد الرئيس المناضل انور السادات في خطابه في ٢٨ سبتمبر .

نصل من ذلك الى ان هذه المواجهة الشجاعة جاءت تجسيدا حيا وشريفا للاتجاه الذي ظل نبض الوطن والقوى الوطنية يدق فيه خلال السنوات الماضية ، وكانت دقاته عالية تطالب بالاعداد للحرب وحشد كافة الطاقات ليوم التحرير .

وكان منطلق جميع القوى الوطنية هو العدو الاسرائيلي حليف الامبريالية العالمية وصنيعتها لا يهدد فحسب اراضينا واستقلالنا الوطني ، وانما يهدد كذلك مكتسباتنا السياسية والاجتماعية ، تلك المكتسبات التي يدافع عنها الان كما ندافع عن الارض تدفعنا الى ذلك تضحيات ابناء الشعب العامل على جبهة القتال ، والشعب العامل نفسه في كل مواقع الانتاج والذي يتحمل ببسالة وصبر كل تبعات المعركة .

نحن اذن مدينون للشهداء والمقاتلين بوطن اجمل ، خال من الاستغلال، يقرى مضاءة عن آخرها ، وأطفال ـ هم أطفالهم ـ لا يشكون سوء التغذية بترع لا تفرز البلهارسيا ، واراض مزروعة ، وفلاحين يقرأون ، وماكينات تدور ومصانع جديدة تنشأ وجامعات فنون وثقافة نابعة منهم ولهم .

لنقول لهم انكم ـ يا ابناءنا ـ تورثون الارض التي حررتموها لاجيال اكثر سعادة ، فذلك هو الامان والسلام المنشود ليوم التحرير وما بعد التحرير .

الجمهورية
٢٢ تشرين الاول

محمد صدقي

ولدي أشرف

عيون المارة في الميدان وهم يعبرون الطريق باندهاش جعلتني ألتقط وقفته رغم الزحام ، وقطرات العسل الشرقاوي تروي حبة قلبي ..

ورغم ان حرف الباء .. وحرف الواو .. وانا أراه من ظهره كانا محتجبين بمساحة امتداد كتفيه .. الا ان اللوحة الكرتونية المستطيلة المعلقة بخيط في عنقه تتوسط صدره بمساحة كبيرة من جاكتته العسكرية بالنسرين على كتفيه كانت تكشف اطرافها بوضوح عن حرفي العين .. والواو ـ المكتوبين بمادة الميكروكروم في خط طفولي واضح .. والمارة من حوله على ارصفة الميدان متجمدة مكانها ، او سائرة ، ترقب وقفته تحت مظلة جندي الشرطة الواقف الى جواره زنهارا يبتسمون في احترام الاعتزاز .

كنت قد استدرت مع الميدان ارقب الصورة بين زحام الواقفين يبتسمون للرائد الصغير قائد العبور حتى واجهته ..

تأملت سمت وقفته العسكرية .. وجهه الابيض .. نظرات عينيه السوداوين الجادتين .. وحروف كلمة « قف نظام » الحمراء على اللوحة واضحة معلقة على صدره ..

أرتال السيارات العسكرية ، والتاكسيات ، والخصوصية القادمة من طريق ترعة السويس واقفة في صفين منتظمين ، وركاب السيارات العابرة عكسيا باشارات أيديهم تلوح من النوافذ بالتحية لحركة الذراع اليمنى الافقية للرائد الصغير طفل العاشرة ممتدة مستقيمة ، مضمومة الاصابع كالمسطرة ، تأذن باستمرار العبور ، ويسراه رأسيا واقفة كالسيف .. كانتا مع الوقفة الجادة قد جعلتا أغلب المارة على الارصفة يعبرون بأدب الابتسام ، وشبكة من دموع الفرح تغشش على عينيّ .. أتمنى لو كان هذا هو ولدي أشرف ..

أشرف ابني يدخل الثانية من عمره ، لا يستطيع ارتداء بدلة رائد مثل ذلك الطفل .. الطفل .

ولمحت عيناي شبه العاشيتين بالدموع بين اشارات العابرين الرصيف وفي سياراتهم يلوحون بالتحية سيدة صغيرة نحيلة قصيرة.. سندريلا .. في بلوزتها البيضاء وجيب اسود .. بضفيرتين سوداوين حول وجهها الابيض تبتسم لطفلها في يدها تدير وجهه باصابع يسراها النحيلة هامسة :

ـ سوسو .. اعمل لصاحبك ده تعظيم سلام .

سوسو .. كان في الرابعة من عمره .. في بدلة عيد ضباطي هو الآخر .. وقد امتثل لرجاء أمه ، وقف زنهارا ، كضابط كبير ، رفع يده بالتحية العسكرية مبتسما ..

ومشيت ..

اخذت طريقي الى عملي منتصب القامة .. سعيدا كأنما لا امشي .. بل اكاد اطير في الهواء ، مندى العينين ، احدث نفسي : أشرف .. أشرف ولدي ، أشرف حين يكبر ، حين يكبر !

الجمهورية
٢٨ تشرين الاول